

المدرسة الوطنية العليا في الأمن السيبراني
ENSCS

مادة تاريخ الجزائر /
ENSCS 2025-2026

First year (S1)

Pr. BOUSLIMANI Abderrahmane

الدرس الثاني

الدول الـ إسلامية في الجزء

المحور الأول: الدولة المستمية
.909-776

مقدمة

• مرت الجزائر بعدة مراحل تاريخية هامة منذ انتهاء الفتوحات الإسلامية، عرفت خلالها تأسيس وسقوط عدد من الدول الإسلامية التي تركت بصماتها في تاريخنا الوطني في المجالات السياسية والعلمية والحضارية، وتعد فترة هذه الدول من ابرز الفترات التي شهدت خلالها البلاد تطوراً حضارياً وتاريخياً هاماً.

• في أعقاب معركة بلاط الشهداء (بواتييه) في فرنسا سنة 732 وانهزم الأمويين فيها، ولّى عهد القوة الجاذبة التي استقطبت إلى فلك دمشق عدداً متزايداً من الولايات سواء من الشرق أو من الغرب. وفي تلك الفترة الممتدة من عام 697 إلى 740 تعاقب 8 ولاة على القيروان، العاصمة الإقليمية التي كانت تدار منها كل الأراضي الإسلامية الواقعة إلى الغرب، من طرابلس إلى ناربون وراء جبال البرتغال، ولم يدم حكم دمشق المباشر لهذه المنطقة الشاسعة سوى 43 عاماً.

• وقد تبدو هذه الفترة قصيرة جداً، إذا قيست بفترات الاحتلال الروماني والوandalي والبيزنطي. غير أن نتائجها فاقت نظائرها كثيراً من حيث مغزاهما ودوامها، مما سبب ذلك؟ إن أقرب سبب يكمن في أن السكان المحليين (الأمازيغ)، وإن كانوا قد رضوا الهيمنة الأجنبية، أبدوا تأييدهم الصادق للقيم التي أتى بها الإسلام.

battle of Poitiers معركة بلاط الشهداء



عبد الرحمن الغافقي قائد معركة بلاط الشهداء



لقب شارل مارتل بالمطرقة بعد معركة بلاط الشهداء من قبل بابا إيطاليا (شترستوك)



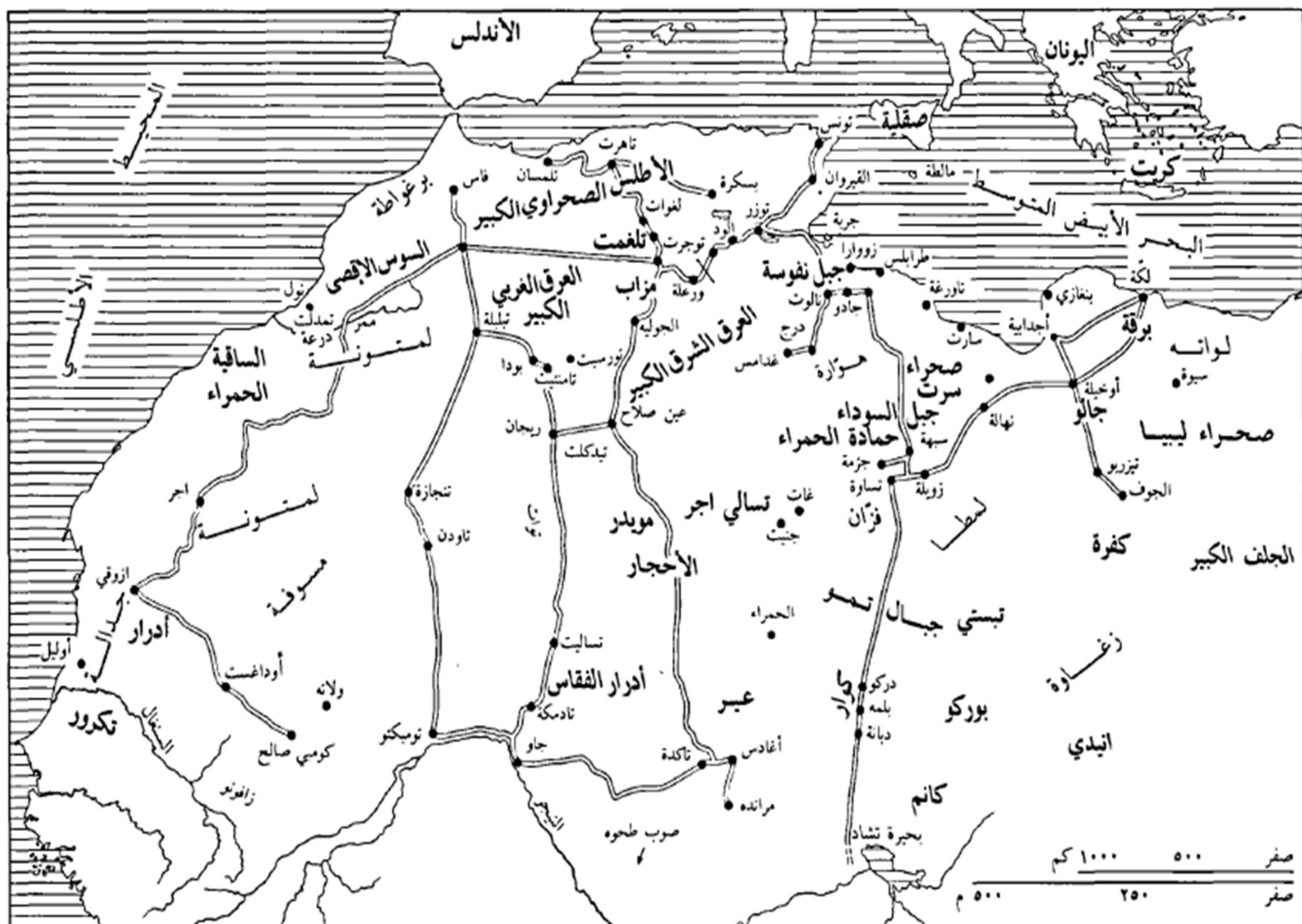
• خرجت الجزائر من الزوبعة بخريطة جيوسياسية تغيّرت كل معالمها، فلئن كانت القيروان قد صمدت لل العاصفة، فإن جميع مناطق الجزائر الوسطى والغربية أفلتت نهائياً من وصاية الشرق. وترتب على ديمقراطية الخوارج، مقترنة بحرصهم المفرط على حرية تقرير المصير وبما لديهم من تعصب قبلي، نشوء دول متعددة على أنقاض السلطة المركزية العربية المنهارة. فضلاً عن ذلك، فإن سرّ نجاح مذهب الخوارج يكمن خاصة في أن الأمازيغ كانوا قد ضاقوا ذرعاً بالوضع إلى حد لا يطاق. فكانوا يشعرون بالكبش والإهانة والاضطهاد. ولم تجد شكاياتهم أي اهتمام في دمشق.

• فبعد أن اجتهد الخليفة عمر بن عبد العزيز(717-720م) وواليه على القيروان - الذي كان مولى(مسلم غير عربي) وزاهدا في أن معاً في نشر الإسلام وإظهار العدالة. ولكن للأسف خلافته كانت قصيرة الأمد. أوفد إلى القيروان، بعد وفاته، حاكم جديد هو يزيد بن أبي مسلم الذي تدرّب على القسوة في مدرسة الحجاج في العراق. ففي سبيل الإبقاء على الدخل من الجباية، الذي كان قد انخفض كثيراً بسبب اعتناق الكثيرين للإسلام، قرر يزيد، مخالفًا الشريعة الإسلامية، أن الذين اعتنقا الإسلام حديثاً يجب عليهم الاستمرار في دفع الجزية. وتمادى في إهانة حراسه من الامازيغ إلى حد وشم أيديهم(دلالة للتمييز)، فكان رد فعلهم أن اغتالوه سنة 721م، وكانت هذه أولى بوادر تصاعد الغضب. وحق لابن خلدون أن يرى فيها أيضاً أولى بوادر فكر الخوارج في شمال أفريقيا.

• وسارت الأمور منذ ذلك الوقت من سيء إلى أسوأ. وبما أن المجال لا يسع هنا لذكر كل الأحداث، فسنقتصر على أن نورد بالكامل نصاً يتضمن موجزاً رائعاً لظلمات الامازيغ. وهو محاولةأخيرة لمحتوى الخطاب الذي تركه ميسرة المدغري قائد الوفد الامازيغي لهشام بن عبد الملك(724-743).

• "خرج ميسرة في بضعة عشر إنسانا حتى يقدم على هشام، فطلبوه الأذن، فصعب عليهم، فأتوا الأبرش، فقالو: أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجندنا، فإذا أصاب نفhem دوننا وقال: هم أحق به، هو أخلص لجهادنا، لأن لا نأخذ منه شيئاً، إن كان لنا فهم منه في حل، وإن لم يكن لنا لم نرده. وقالوا: إذا حاصرنا مدينة قال: تقدموا وأخر جنده، فقلنا تقدموا فإنه ازدياد في الجهاد، ومثلكم كفى إخوانه، فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم. ثم إنهم عمدوا إلى ما شيتنا، فجعلوا يبقرونها على السّخال يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين، فيقتلون ألف شاة في جلد، فقلنا: ما أيسر هذا لأمير المؤمنين. فاحتملنا ذلك، وخليناهم بذلك. ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا فقلنا: لم نجد هذا في كتاب الله ولا سنته، ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم، أعن رأي أمير المؤمنين ذلك ألم لا". الطبرى / جزء 6.

الجزائر نحو 800 Algeria to



• كان مجال نفوذ الإباضية في البداية قاصراً على طرابلس، فلم يكن وضعهم يدعو إلى الارتياح. ذلك أن الدفاع عن طرابلس، التي كانت تُحتل موقعاً حساساً على طريق الاتصال بين الشرق والغرب، كان أمراً حيوياً لحفظ على الصلة بين القبروان ومقر الخلافة. وكان الإباضيون أكثر اعتدالاً وأشد حذراً من غيرهم. فنظموا صفوفهم أولاً وفقاً لمذهبهم الذي يوصي بالقعود (أعمال تخريبية ترمي إلى إضعاف النظام الحاكم) والتقية (إخفاء العقيدة الحقيقة تفادياً للاضطهاد) في انتظار الوقت المناسب.

• وأحرز الزعيم الإباضي، إسماعيل بن زياد النفوسى - وهو أمازيغي - الانتصار تلو الآخر حتى استولى في النهاية على طرابلس، لكن في سنة 749 هزمته جيش الخليفة وتم إبادتهم في طرابلس. غير أن ذلك لم يجد نفعاً، ولم يقض على الإباضية نهائياً، وقد عادت إلى الظهور العنيف مرتين بعد ذلك. وفي سنة 745 انتهت مناخ الفوضى بعد مقتل حاكم القبروان واستعادت طرابلس، وفي جوilyة 785 تمكناً من دخول القبروان وولو عليها عبد الرحمن ابن رستم الذي أسس مدينة تاهرت لاحقاً.

• وكانت الدولة الاباضية الوحيدة التي استطاعت أن تنظم شؤونها لفترة زمنية طويلة هي الدولة الرستمية في تاهرت، التي أسسها الفارسي عبد الرحمن ابن رستم الذي استطاع أن يفر من القیروان عندما اجتاحها الخليفة العباسی ابن الاشعث. وفي عام 778، ارتقى إلى مرتبة الإمام وسرعان ما بلغ إشعاعه الشرقي حيث عمد قسم من أتباع الاباضية إلى تزويد بدعم مالي وروحي كبير أسهם في تعزيز دولته الفتية.

• ولم ت تعرض السلالة الحاكمة التي أسسها، على الرغم مما شابها من انقسامات خطيرة، لأية تحديات حقيقة. وكانت الدولة الرستمية تمتد من جبال الأطلس غربا حتى الصحراء الكبرى في ليبيا شرقا في أوج قوتها. وكانت منظمة تنظيما قويا، بالرغم من أن سلطة الإمام خارج مدينة تاهرت كانت سلطة روحية أكثر منها سياسية.

• ولم تغلق الدولة الرستمية رغم من قوتها. حدودها، على الرغم من الاختلافات والنزاعات على الصعيد السياسي، كان هناك رواج كبير لتنقل الناس والسلع. وما صاحب ذلك من انتقال للأفكار. في جميع الاتجاهات.

احدى واحات الميذاب التي بناها الرستميون بعد استقرارهم فيها



المحور الثانوي:

١- الدولة الفاطمية ٩٧٢-٩٠٩ م

- في نهاية القرن التاسع الميلادي، كان جزء كبير من الغرب الإسلامي (شمال إفريقيا واسبانيا) قد خرج فعلاً عن السيطرة الفعلية للخليفة العباسي في بغداد. فكان الأمويون قد وطدوا أقدامهم في الأندلس، وكان عدد من دول الخوارج المستقلة يمتد من جبل نفوسة إلى سلجماسة. وعلى الصعيد الديني- وينبغي ألا ننسى أن المجالين السياسي والديني في الإسلام يتداخلان تداخلاً وثيقاً- كان منقساً بين شرعيّة السنة في القيروان وبين طوائف مختلفة من الخوارج.

• وقد تغيّر كل ذلك بقدوم طائفة قوية ونشطة للغاية من الخارج، وهم الشيعة الإسماعيلية، إلى شمال إفريقيا في نهاية القرن التاسع الميلادي. فمن العناصر الأساسية للعقيدة الشيعية الاعتقاد بأن إمامية الأمة الإسلامية هي حق لسلالة الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال ابنته فاطمة وزوجها علي رضي الله عنه. حيث ورث عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا السيادة الدنيوية فحسب بل وكذلك الحق الاستئثاري في تفسير الشريعة باعتباره من الأئمة المعصومين.

• ويكتنف الغموض تاريخ هذه الطائفة وكيفية نشوء معتقداتها الخاصة التي تميزها عن باقي الشيعة. وكما يحدث غالبا في الطوائف المنشقة، انقسمت الإسماعيلية إلى عدة فروع، وكانت إحدى نقط الخلاف الرئيسية تتعلق بطبيعة الأئمة. وكان الجناح الذي انبثق منه الفاطميون، يقبل النظرية القائلة بوجود أئمة ظاهرين على رأس المجتمع الإسلامي. وقد نظم الإسماعيليون دعوة سياسية ودينية تعد من أذكى الدعايات وأكثرها فعالية، حققت نجاح كبير في شمال إفريقيا ولاسيما بين قبائل بنو كتامة الذين كانوا يسكنون منطقة القبائل الصغرى بين جigel وقسنطينة وسطيف. وكان الفاطميون وحدهم، من بين كل فروع الشيعة الإسماعيلية، هم من استطاعوا تأسيس إمبراطورية والحافظ عليها إذ دامت أكثر من قرنين ودنت تماما من بلوغ الهدف الشمولي لعقيدتهم.

- وأياً كانت الأسباب، فإن أغلبية بنـي كـاتـمةـ الذين كانوا يـكـنـون حـسـب ابن خـلـدون كـراـهـيـة شـدـيـدة لـلـفـاتـحـيـن وـالـحـكـام الـعـرـبـ لم تـلـبـث أـنـ اـسـتـمـالـتـها دـعـوـةـ أـبـي عـبـدـ اللـهـ لـصـالـحـ نـسـلـ عـلـيـ وـفـاطـمـةـ، المـمـثـلـ آـنـذـاكـ فـيـ شـخـصـ الـإـمـامـ عـبـدـ اللـهـ الـمـهـديـ. وـفـيـ بـضـعـ سـنـوـاتـ اـتـحدـتـ مـخـتـلـفـ عـشـائـرـ بـنـيـ كـاتـمةـ فـيـ جـيـشـ قـويـ تـوـحـدـ صـفـوفـهـ الـعـصـبـيـةـ الـمـقـرـونـةـ بـالـوـلـاءـ لـلـإـمـامـ الـفـاطـمـيـ باـعـتـبـارـهـ الـمـهـديـ الـمـنـتـظـرـ الـذـيـ يـقـدـرـ لـهـ أـنـ يـخـلـصـ الـعـالـمـ مـنـ أـيـدـيـ الـطـغـاةـ.
- وـكـانـ فـيـ إـنـشـاءـ دـوـلـةـ شـيـعـيـةـ فـيـ شـمـالـ أـفـرـيـقيـاـ تـكـرـيـسـ لـأـنـقـاسـمـ الـعـالـمـ الـإـسـلـامـيـ إـلـىـ ثـلـاثـ إـمـبرـاطـورـيـاتـ مـتـعـادـيـةـ: الـخـلـافـةـ الـعـبـاسـيـةـ فـيـ بـغـدـادـ، وـالـخـلـافـةـ الـفـاطـمـيـةـ فـيـ شـمـالـ أـفـرـيـقيـاـ، وـالـإـمـارـةـ الـأـمـوـيـةـ فـيـ إـسـبـانـيـاـ. وـكـانـ لـاـ بـدـ لـلـمـذـهـبـ الشـيـعـيـ الـإـسـمـاعـيـلـيـ الـجـدـيدـ مـنـ أـنـ يـثـيـرـ اـضـطـرـابـاتـ فـيـ مـنـطـقـةـ تـتـقـاسـمـهـاـ مـنـ قـبـلـ السـنـيـةـ الـمـالـكـيـةـ وـمـذـهـبـ الـخـوارـجـ الـابـاضـيـةـ. فـكـلـ هـذـهـ الـجـمـاعـاتـ لـمـ تـقـبـلـ حـكـمـ الـفـاطـمـيـينـ إـلـىـ مـضـضـ.
- وـقـدـ اـسـتـقـرـ عـبـدـ اللـهـ الـمـهـديـ فـيـ رـقـادـةـ أـوـلـاـ، ثـمـ بـدـأـ فـيـ بـنـاءـ عـاصـمـةـ جـدـيـدةـ عـلـىـ السـاحـلـ الشـرـقـيـ حـيـثـ اـنـتـقـلـ إـلـيـهـ عـامـ 920ـ مـ وـسـمـاـهـاـ الـمـهـديـةـ، بـعـدـ أـنـ سـحـقـواـ أـخـرـ مـقاـومـةـ لـلـأـغـالـبـةـ حـلـفـاءـ الـعـبـاسـيـينـ.

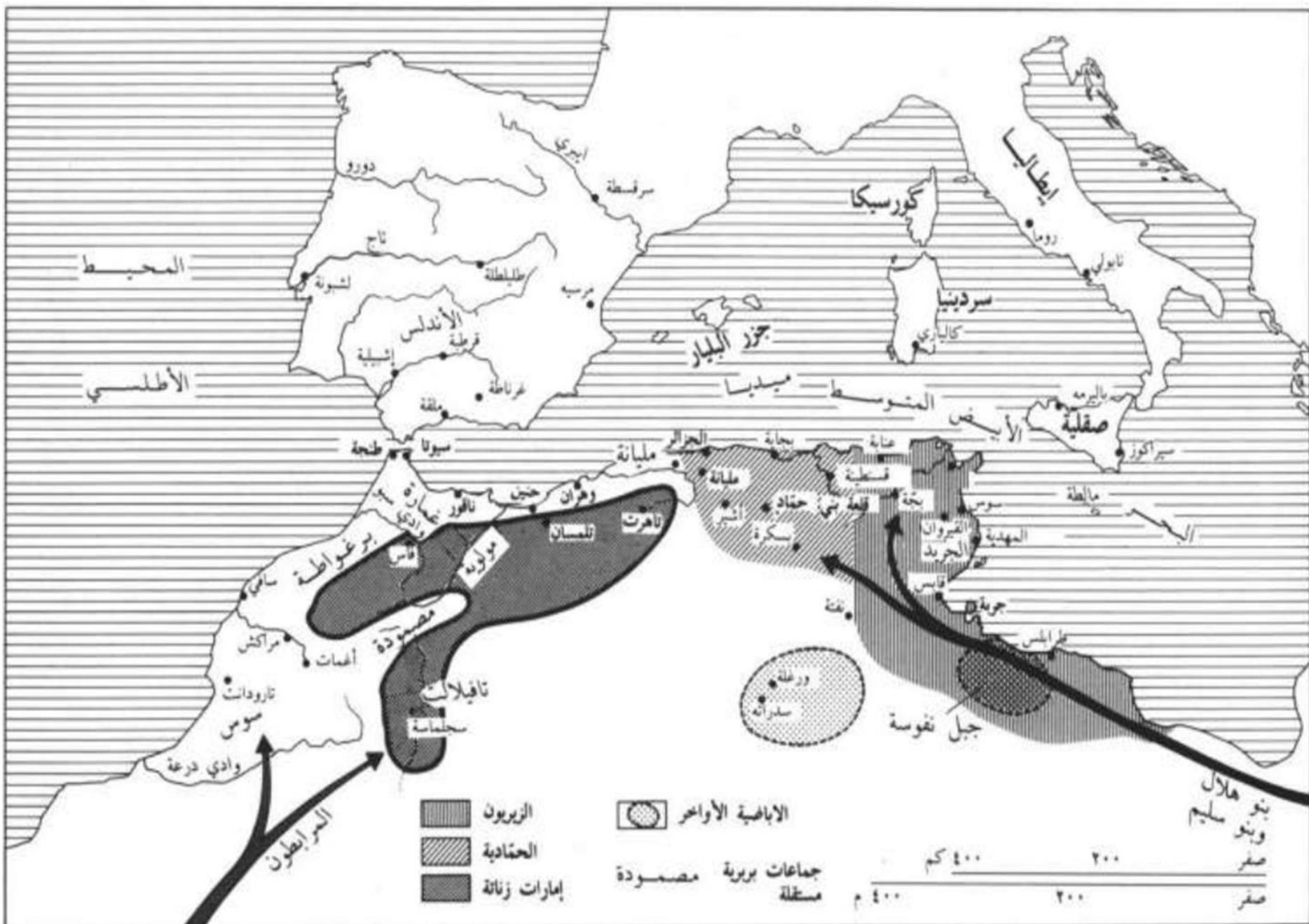
• ومنذ البداية كان الفاطميون يعترون شمال إفريقيا مجرد منطلق لإجراء فتوحات جديدة صوب الشرق بغية اقتلاع جذور العباسيين، وقد فرضت عليهم هذه المشروعات المصرفية في الطموح الإبقاء على قوات مسلحة قوية ومكلفة في البر والبحر على السواء وعلى الرغم من أن الداعية أبا عبد الله كسب في البداية تعاطفا هائلا بإلغاء ضرائب غير قانونية عدّة، لكن هذه السياسة سرعان ما غيرت، وأعادت الدولة الفاطمية من جديد عدداً من الضرائب غير المنشورة، المباشرة وغير المباشرة.

• وكانت مساعدة قوات بني كتامة والصقالبة (مفردها صقلبي كما سماهم العرب وهم الصرب والبلغار) هي التي أتاحت للملكة الفاطمية الصغيرة في إفريقيا أن تتحول إلى إمبراطورية تمتد من الأطلسي إلى سوريا، وإلى دولة كبرى من دول البحر الأبيض المتوسط في القرنين العاشر والحادي عشر الميلادي

• وعلى الرغم من أن الفاطميين يعتبرون الأسرة الحاكمة الأولى التي أقامت الوحدة السياسية لكل شمال أفريقيا، إلا أن كثير من المناطق أو المدن التي أخضعتها جيوشهم اقتضى الأمر إعادة فتحها مراراً، حيث كان السكان المحليون أو الزعماء ينتهزون دائماً أول فرصة للتحرر من السيطرة الأجنبية. فتاهرت، التي تم الاستيلاء عليها لأول مرة عام 908م، اقتضى الأمر إعادة فتحها 911 ثم مرة أخرى 934. وبعد الاستيلاء على تاهرت، فرّ آخر امام رستمي مع قومه إلى ورغلة حيث ظل الإباضيون مستقلين، دون أن يحاولوا إقامة حكم جديد، ثم توسعوا بعدها نحو منطقة مزاب.

• وفي القرن 10م بدأ الصراع بين القوتين الإسلاميةتين الكبريين- الأمويين في إسبانيا والفاتميين في شمال إفريقيا. وبعد ذلك بفترة قصيرة، عندما تركز جل القوات الفاطمية في الهجوم على مصر، أفلتت الجزائر ومعها تونس، معلنة سقوط الخلافة الفاطمية في شمال إفريقيا واستقرارها في مصر بعد بناء القاهرة عام 969 من طرف المعز لدين الله الفاطمي واتباعه الكتاميين، وفي العام التالي وضعوا حجر الأساس لجامع الازهر الشريف، واستمرت دولتهم خمسة قرون بعد وفاة مؤسسيها الأصليين.

The Algeria in the first half of the eleventh century



2-الدولة الزيرية 972-1148

خلال الفترة الأخيرة من الحكم الفاطمي قاد مناد بن زيري وابنه بلقين عدة حملات بتحالف مع الفاطميين ضد قبائل الزناتة، وقبل رحيله النهائي إلى مصر عين الخليفة الفاطمي بلقين بن زيري حاكماً لقطاع الغربي من الإمبراطورية، وقد فتح هذا الاجراء عدداً جديداً في تاريخ الجزائر وشمال إفريقيا. حتى مجيء بنو زيري، كانت جميع الأسر الحاكمة من أصل شرقي وعربي. فكان بنو زيري هم أول بيت حاكم من أصل أمازيغي، وفضلاً عن ذلك فإنهم دشنوا تلك الفترة من تاريخ الجزائر التي آلت فيها السلطة في المنطقة لأسر حاكمة من الامازيغ فقط حتى الحكم العثماني (المرابطين والموحدين وبني زيان والحفصيين).

• وحتى عام 1016، ظلت العلاقات مع الفاطميين سوية بوجه عام، فكانت الجزية تدفع للقاهرة بانتظام. وقد حاول بنو زيري في الوقت نفسه الاستقلال الحقيقي دون انكار السيادة الرسمية للفاطميين. وحاول بنو كتامة حلفاء الفاطميين احمد أبي محاولة استقلال عن القاهرة. ويبدو أن الفاطميين، باهتمامهم المتزايد بالشرق، فقدوا تدريجيا اهتمامهم بالأجزاء الغربية من الإمبراطورية. ومن الصعب أن نحدد ما إذا كان ذلك يرجع إلى التدهور الاقتصادي لشمال إفريقيا أو إلى عدم قدرة الفاطميين على التدخل عسكريا أو إلى كليهما. وعندما حدثت القطيعة النهاية أخيرا، في منتصف القرن 11م، لم يتدخل الفاطميون مباشرة، ولكن بطريقة ملتوية أرسلوا حشودا من العرب الرُّحل ضد أتباعهم السابقين.

• وتمكن حماد بن بلقين، بعد حملات عسكرية قوية في القطاع الأوسط بين الاوراس والونشريس، من طرد قبائل الزناتة حتى منطقة المغرب الحالي، واضطرب باديس بنو زيري من أن يعترف بحماد كحاكم على هذه الأقاليم، التي أسس عليها عاصمتها الخاصة، قلعة بني حماد، التي تُعد من أروع الآثار في شمال إفريقيا. بل إن موقعها الاستراتيجي كان أفضل موقع، حيث كانت تحكم في طرق تجارية هامة وفي منطقة شاسعة. وبعد فترة قصيرة أعلن حماد استقلاله (عام 1010) وقطع العلاقات مع الفاطميين محولاً ولائه للعباسيين، وبهذا تم الإعلان عن تأسيس الدول الحمادية (1014-1152) والتي بلغت أوجها الثقافي والعماني في عهد الناصر بن عباس، وتم نقل عاصمتهم فيما بعد إلى بجاية التي أصبحت مركزاً حضارياً وثقافياً.

• وأدى تغيير الحماديين لولائهم إلى احياء نشاط أهل السنة، فقد عارض معظم السكان دائمًا الشيعة الإسماعيلية، وهي الديانة الرسمية للفاطميين والزيريin، ووّقعت في فترة حكم الزيريin الأخيرة المذابح الأولى للشيعة في باجة وتونس، وتبعّتها مذابح أوسع في القيروان وقسطنطينيّة وسيطيف. وهذه المخاطر أوضحت بجلاء لحكام القاهرة صعوبة إقامة حكومة شيعية على سكان ينتمون عامّة إلى أهل السنة.

وباختصار، كانت في النصف الأول من القرن 11م الخريطة السياسية للجزائر بالصورة التالية:

• 1 - في الشرق كانت إمارة بنى زيري (972-1014) تمثل الدولة الأكثر قدماً التي تتمتع بالاستقرار نسبياً.

• 2 - في غرب إمارة بنى زيري كان بنو حماد (1079-1145) قد أقاموا دولتهم المستقلة التي كانت في حرب دائمة مع الزناتيين.

• 3 - وبعد انسحاب الفاطميين وسقوط الخلافة الأموية في إسبانيا، انتهت جماعات شتى من الزناتة الفرصة لتأسيس عدد من الدوليات المستقلة في تلمسان وفاس وأماكن أخرى.



مناطق متباينة عليها



دولة المرابطين



حدود الدولة الزيرية الأولى

الزيريون 972-1160 م

الحمدانيون 1014-1152 م

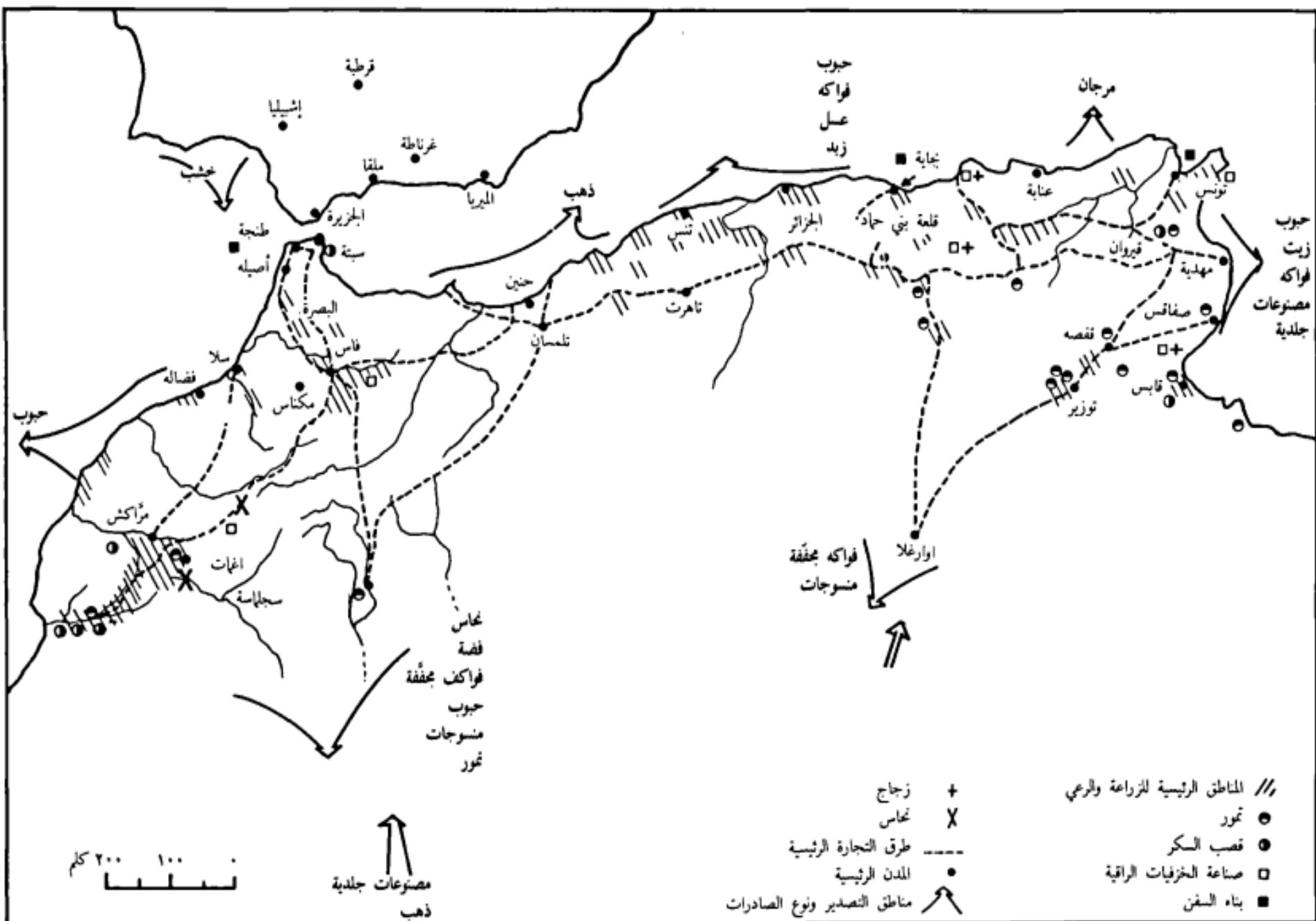


• وقد شهد الوضع الديني تغييرات عميقة في فترة ما بعد الفاطميين: ففي منتصف القرن 11م كانت الجزائر بمجملها يسودها مذهب أهل السنة ولا أثر فيها للشيعة مع وجود جيوب صغيرة ينتشر فيها مذهب الخوارج، وهذا التغيير يفسّر بأنه أثر مباشر لعودة السيطرة السياسية إلى أيدي الامازigh. وفي هذه الظروف فقد مذهب الخوارج مبرر وجوده كأيديولوجية لمقاومة الامازigh للأسر العربية السنّية الحاكمة.

المحور السادس من الدولة الموحية 1235-1152

- يمثل عصر الموحدين من منتصف القرن 12 إلى منتصف القرن 13 أوج محاولات توحيد الغرب الإسلامي كله، كان منطاقها حركة إصلاح دينية عميقه تزعمها مهدي الموحدين الشهير، ابن تومرت، وقد اعتمد على جماعة منظمة تنظيميا محكما هي جماعة الموحدين ثم تطورت في شكل حركة سياسية شاملة.

المغرب العربي في القرن 12- النشاط الاقتصادي



• إن مرحلة بجاية، عاصمة بنى حماد الرائعة المزدهرة حيث كانت الأخلاق على جانب كبير من التساهل، تمثل في مسيرة ابن تومرت نحو الغرب، أوج نشاطه بوصفه أمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر. وإن أدرك المخاطر الفعلية التي تهدّده، فقد توجه إلى ملالة، في ضواحي بجاية حيث يبدو أنه قضى فترة طويلة كرسها للدرس والتأمل. وتتسم هذه المرحلة بأهمية كبيرة بحكم ما سيكون لها من تأثير فيما بعد.

• In the course of his westward march, the stop at Bidjäya (now Bougie) - the brilliant and prosperous capital of the Hammadids, where morals were particularly free - marked the high point of Ibn Tümart's activities as a custodian of morals. Warned of the real dangers he was running, he went to Mallâla, on the outskirts of Bidjäya, where he seems to have spent a long period in study and contemplation. This stage is of great importance for its later political significance

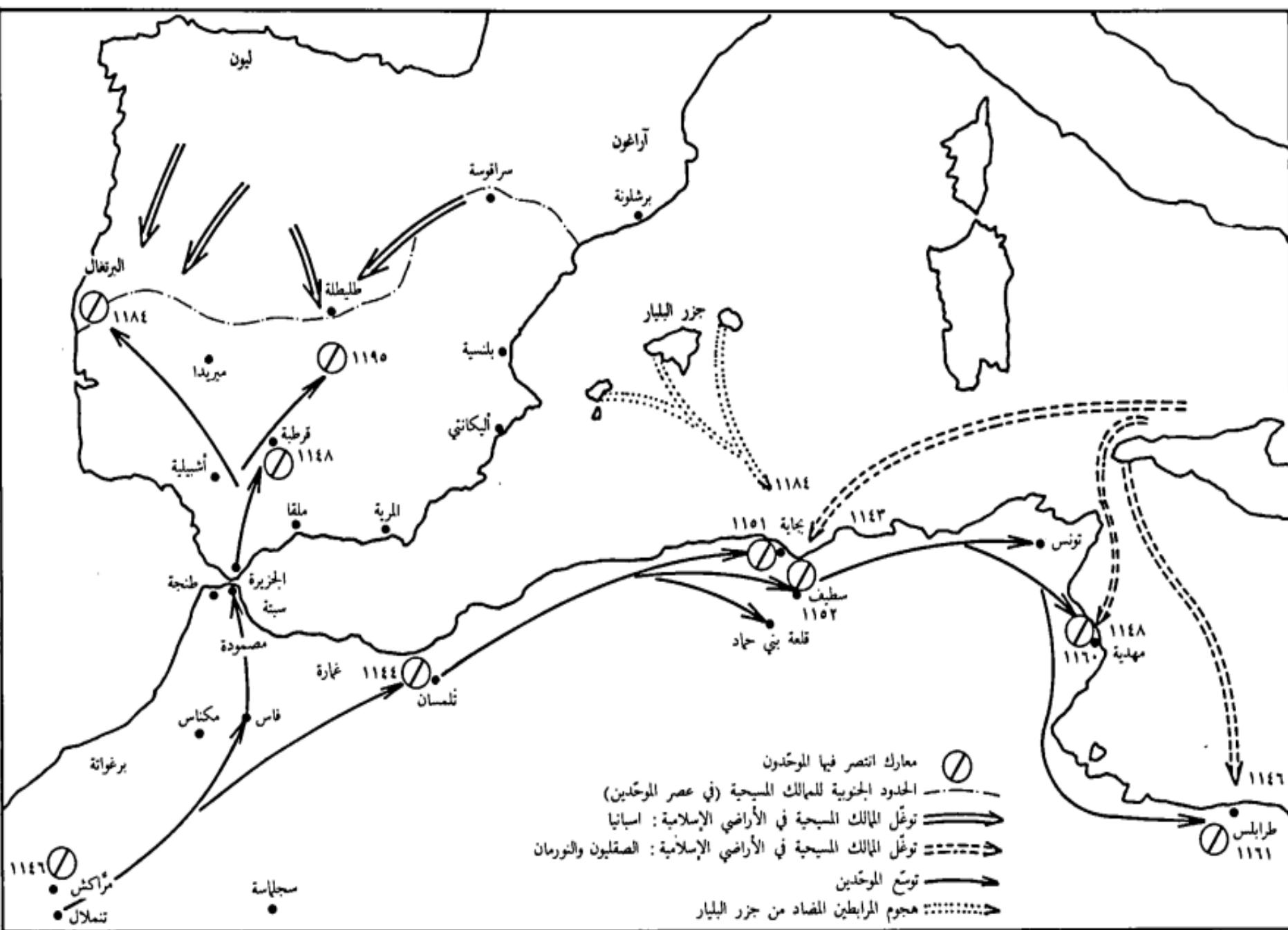
• إن المبادئ والأفكار والكيفية التي صيغت بها حركة الأملغو(أي المشعل) ابن تومرت الإصلاحية فيما يتعلق بالأخلاق والعقيدة الدينية والتشريع قد اتضحت معالمها في ذهنه شيئاً فشيئاً أثناء رحلته للدراسة في المشرق، و يتعلق المبدأ الأول بطبيعة الحال بالتوحيد(أي تقرير وحدانية الله) وهو يتمثل كما ذكر في إثبات إله واحد ونفي ما ليس إياه من آلهة وشرك. وهو يؤكد استناداً إلى أحاديث شتى أن التوحيد هو أول ما يجب معرفته، فهو ركن من أركان الدين وأعظم الفروض وهو دين الأولين والآخرين من الأنبياء. وهذا بعد الانحراف الكبير للمجتمع المغاربي عن الدين الصحيح أثناء حكم الخوارج.

• ولقد تميز الموحدون بالتقشف والبساطة، وهم صفات استحسنها الامازيغ كل الاستحسان. ومن المهم أن نلاحظ أن المهدي كان يستعمل اللغة الامازيغية في خطبه بل حرر بعض الكتابات بها.

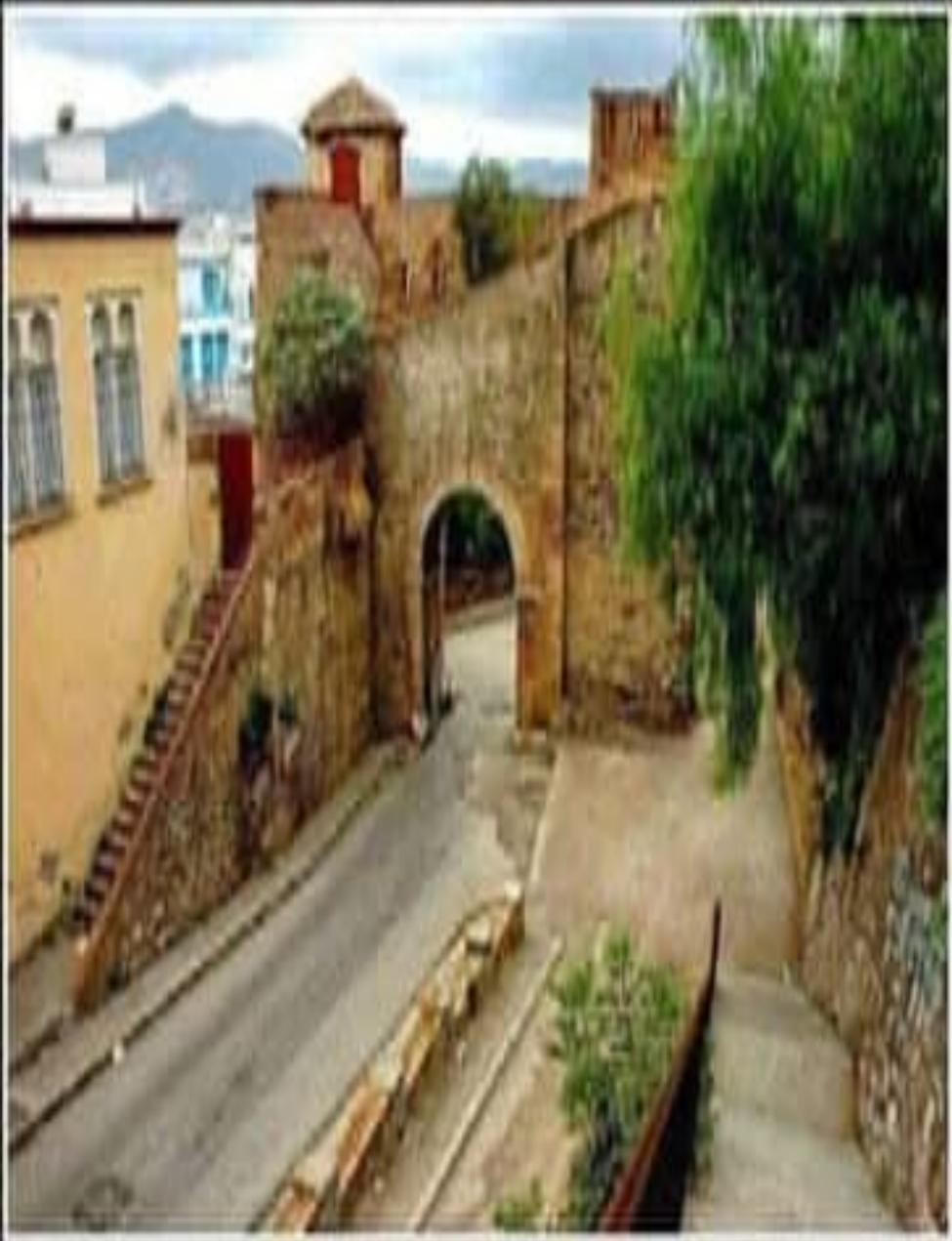
توحيد المغرب العربي على يد الخلفاء الموحدين Unification of the Maghrib by the Almohad

• كونت حركة الموحدين تجتمعاً أخذت غايتها السياسية تتضح شيئاً فشيئاً: وهي إقامة نظام حكم جديد لتطبيق إصلاحات ابن تومرت. وأدرك المرابطون ذلك تماماً. أحرز الموحدون أول نصر لهم في كيڭ سنة 1122، وجعلوا من مراكش هدفهم، فحاصروها مدة أربعين يوماً، لكن فرسان المرابطين هزموهم في معركة البحيرة سنة 1128. وفي هذه الظروف العسيرة توفي ابن تومرت سنة 1130. والمرجح أن تنظيم أمر خلافته وتولي عبد المؤمن بن علي مقاليد الأمور سنة 1133، لم يكونا دون مشاكل. ودفن ابن تومرت في تنمل، وذكر ليون الإفريقي أن ضريحه كان لا يزال موضع الإكبار بعد مضي خمسة قرون على وفاته.

الفتح الجديد للموحدين The Almohad reconquest



العمارة الموحدية في قصبة بجاية



• كانت الجزائر معرضة للتهديد المسيحي. إذ أن نفوذ السلالات الصنهاجية في القيروان وبجاية قد تقوضت نتيجة للتنظيم الإقليمي الجديد في المغرب الأوسط لصالح الإمارات الصنهاجية والعربيّة داخل البلاد. بينما كانت أقدام النورمان- بقيادة ملك صقلية روجر الثاني- ترسخ في أهم موانئ الجزائر. ومن ثم توافر المبرر لإرسال الموحدين حملة إلى إفريقيا لاسيما أنه كان من الممكن الاستناد إلى واجب الجهاد.

• وبعد سنتين من الاستعدادات، توجه الخليفة الموحدي عبد المؤمن نحو سبتة، وهو ما كان من شأنه أن يحمل على الاعتقاد أنه ينوي العبور إلى إسبانيا. لكنه ظاهر بالعودة من سبتة إلى مراكش، ثم سلك بدلاً من ذلك طريق الشرق في أوائل صيف 1152م. وسار سيراً حثيثاً فبلغ المغرب الأوسط، فاستولى على مدينة الجزائر أولاً ثم على بجاية دون كبير عناء(كان آخر بنى حماد في بجاية، قد توصلوا إلى وجهه من وجوه التعايش السلمي مع بنى هلال وأسياد الهضاب الجدد والى تطوير التجارة معهم). وأرسل فصيلاً بقيادة ابنه عبد الله لاحتلال القلعة، عاصمة بنى حماد القديمة. أما قسنطينة، فقد استسلمت، وتوجهت منها حملة على بدو منطقة قسنطينة.

• لقد أبدى الخليفة الموحدي رغم ما عرف عنه من الشدة بل القسوة سماحة مذلة تجاه العرب المهزومين الذين كسر تحالفهم. فهل كان يريد أن يبين لهم مدى قوته حتى يعظم في أعينهم ثم يشملهم بحملة حتى ينظموا إلى صفوفه؟ هذا الأمر محتمل إذا نحن قدرنا قيمة العنصر العربي في المغرب الأوسط، وحاجة الخليفة إلى توسيع قاعدة نظامه الموحدية الأمازيغية- بما يتاسب واتساع رقعة إمبراطوريته الناشئة. ولعله قد فكر أيضا في الاستعانة بالعرب باسم الجهاد في الأندلس حيث كثر الاستصرار به أمام تهديدات المسيحيين التي أخذت خطورتها تتفاقم يوما بعد يوم. وعلى أثر هذه الأحداث، فضل الخليفة أن لا يغامر بجيشه فيما وراء منطقة قسنطينة فترك في المغرب الأوسط ولاة وحاميات ووقف راجعا إلى المغرب الأقصى.

• ويبدو أن عبد المؤمن قد اعتمد على جيشه وعلى أسطوله أكثر مما اعتمد على سياسة توحيد حقيقة، على الرغم من توسيعه النواة الأولى للنظام المكون من الأمازيغ. وقد تمكّن الموحدون -بفضل نظامهم الضرائي وعملائهم القوية، من أن يكون لهم جيش وأسطول عظيمان.

- وتلقى الموحدون هزيمة قاسية في معركة العقاب LAS NAVAS DE TOLOSA يوم 16 جويلية 1212، والتي ما لبثت أن تحولت إلى اندحار مفجع. وقد بالغ المسيحيون، بطبيعة الحال، في تقدير مدى انتصارهم ذاك، لكن مؤرخا إسبانيا هو هويسى ميرندا هو الذي أرجعها إلى أهميتها الحقيقة، حيث أنسى المسيحيين ما كان بينهم من خلافات، مشيرا إلى أنها لم تتسرب في انهيار الواقع الإسلامية في إسبانيا، إلا أنها تحافظ بقيمتها الرمزية.
- وقد كانت هذه الموقعة بالفعل أول انتصار كبير للنصارى المتحدين ضد مسلمي إسبانيا والمغرب، يقودهم الخليفة نفسه، وبهذا الوصف فقد كان لها دور عظيم، لأن الذي هزم ليس جيشاً موحدياً بسيطاً وإنما الإمبراطورية الموحدية بقيادة خليفتها.
- إن الإمبراطورية الموحدية، وان شهدت من بعد بعض السنوات الزاهرة، إلا أن معركة العقاب كانت العرض الذي لا ينكر لبداية تفكك النظام. وإنه لأمر ذو دلالة في نهاية الأمر أن الغرب الإسلامي لم يجد أي رد فعل بعد الهزيمة ولد يدب فيه الحماس، وكانت هناك سلبية وعدم اكتتراث استمرت إلى يومنا هذا. إذ أن الخليفة نفسه القدوة، فقد عجل بالعودة إلى مراكش وعاش كثيراً لفترة طويلة حتى وفاته سنة 1213.

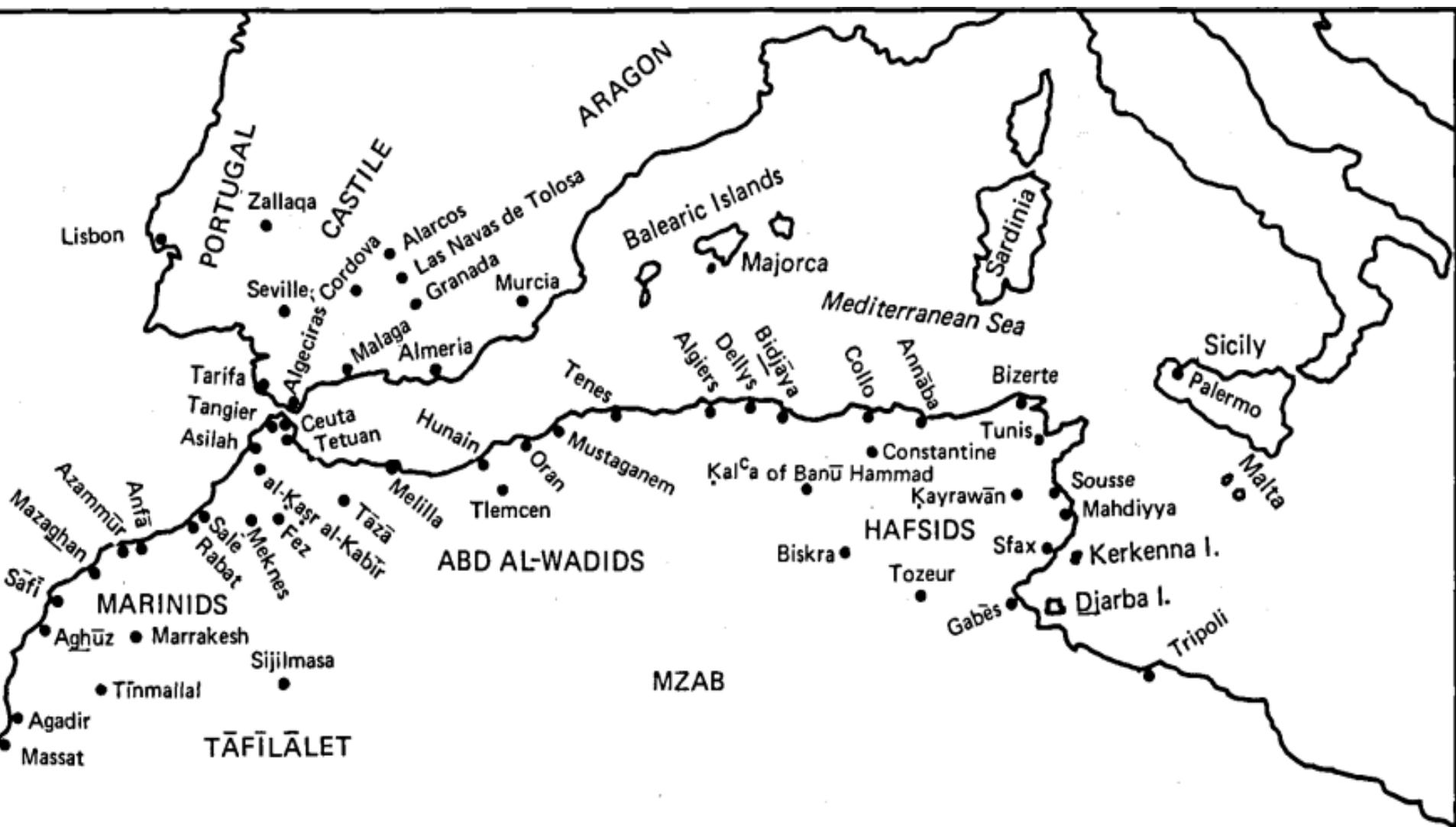
النصب التذكاري لمعركة العقاب جنوب اسبانيا



لقد أعاد سقوط الإمبراطورية الموحدية شمال إفريقيا إلى الوضع الذي يظهر أنه كان قبل ظهور الفاطميين. فعلى أنقاض الإمبراطورية ظهرت ثلاث دول مستقلة كثيراً ما ناصبت بعضها بعضاً العداء، كما هددتها في الداخل الخصومات بين الأسر الحاكمة والثورات وهددتها من الخارج هجمات العدو المسيحي المتزايدة. وهم الحفصيون في القيروان سنة 1228 وبني عبد الوهيد في تلمسان سنة 1235 وبني مرین الذين استولوا على مراكش سنة 1269، وقد شهدت هذه الأقطار الثلاثة من بعد نشأة الدول التي أصبحت تعرف بأسماء تونس والجزائر والمغرب والتي تبادلت سبل تطورها رغم ما تشارك فيه من خصائص.

ثم كان انفصال إسبانيا فضياعها، وبعد نهاية حكم الموحدين حل محلهم أمراء منحدرين من السلالات القديمة ما لبثت أن أصبحت تابعة لملوك النصارى، وأخذت الحواضر الإسلامية تتراقص الواحدة تلو الأخرى (قرطبة 1236) وأخرها غرناطة 1492.

تفكيك إمبراطورية الموحدين Dismemberment of the Almohad empire



الدولة الحفصية 1228-1574 | The Hafsid State

- أعاد سقوط الإمبراطورية الموحدية المغرب العربي إلى الوضع الذي يظهر أنه كان قبل ظهور الفاطميين. فعلى أنقاض الإمبراطورية المنهارة، ظهرت ثلاث دول مستقلة كثيراً ما ناصبت بعضها بعضاً العداء، كما هددتها في الداخل الخصومات بين الأسر الحاكمة والثورات وهددت من الخارج هجمات الممالك النصرانية المتحالفه. وقد شهدت هذه الأقطار الثلاثة من بعد نشأة الدول التي أصبحت تعرف اليوم بأسماء تونس والجزائر والمغرب والتي تبادلت سبل تطورها رغم ما تشارك فيه من خصائص.
- الدول الحاكمة الثلاث التي خلفت الموحدين وتقاسمت المغرب هي: الحفصيون (1228-1574) وعاصمتهم تونس، بنو عبد الوهيد أو بنو زيان (1235-1554) وعاصمتهم تلمسان، وبنو مرين في المغرب الأقصى (1230-1472) وعاصمتهم فاس.

- ان الجدّ الذي أعطى لهذه السلالة اسمها هو أبو حفص عمر بن يحيى شيخ قبيلة هننانة الامازيغية، وفي عام 1228 استقل الحفصيون عن الموحدين، ومنذ عام 1234 قاموا بحروب كبيرة واستولوا على التوالي على قسنطينة وبجاية والجزائر، كما اخضعوا كل ساحل طرابلس في الشرق. وأتاح استتاب السلم والأمن نمواً اقتصادياً سريعاً، وتردد على العاصمة، تونس، من جديد التجار الأجانب القادمون من بروفانس وقطالونيا والجمهوريات الإيطالية. وفي عام 1253 اتّخذ المستنصر أبي عبد الله لقب أمير المؤمنين، واعترف بخلافته أشراف مكة في عام 1259، وفي العام التالي، اعترف به مماليك مصر. وهو دليل على التقدير الكبير الذي كان يحظى به الحفصيون في العالم الإسلامي، حيث كانت دولتهم تعتبر من أكثر الدول استقراراً وقوة.
- وبعد بضع سنوات ارتفعت شهرة المستنصر في العالم الإسلامي بفضل إنهائه للحملة الصليبية التي قادها سان لويس ملك فرنسا على تونس عام 1270. وفي عهد المستنصر بلغت الأسرة الحفصية الذروة الأولى لنفوذها، إذ تم الاعتراف لها بالهيمنة على المغرب بأسره وامتد نفوذها حتى الاندلس غرباً والجاز شرقاً. وكان على كل الدول الأوروبيّة في غربي البحر المتوسط أن تضع قوتها في الحسبان وسعت جاهدة للتحالف معها.

• واستقل ولاة قسنطينة وبجاية وبسكرة عن العاصمة تونس، لكن الخليفة الحفصي أبو العباس(1394-1434) أعاد توحيد البلاد وتنظيمها وألغى الامتيازات العقارية وتمكن من كبح النزاعات المحلية للعصيان وأعاد هيبة الأسرة المالكة.

• الا أن خلفاؤه أظهروا عجزهم عن وقف تيار الفوضى. وانهارت السلطة الحفصية فجأة، وشهدت نهاية القرن 15 وبداية القرن 16 الفوضى التي استنزفت طاقة الأسرة الحفصية إلى درجة أنها لم تعد قادرة معها على مواجهة الوضع الخطير الناجم عن التناقض بين إسبانيا والامبراطورية العثمانية الراغبتين كلاًّيهما في بسط سيطرتهما على المنطقة.

الدولة الزيافية 1235-1556 - The Zayyānids State

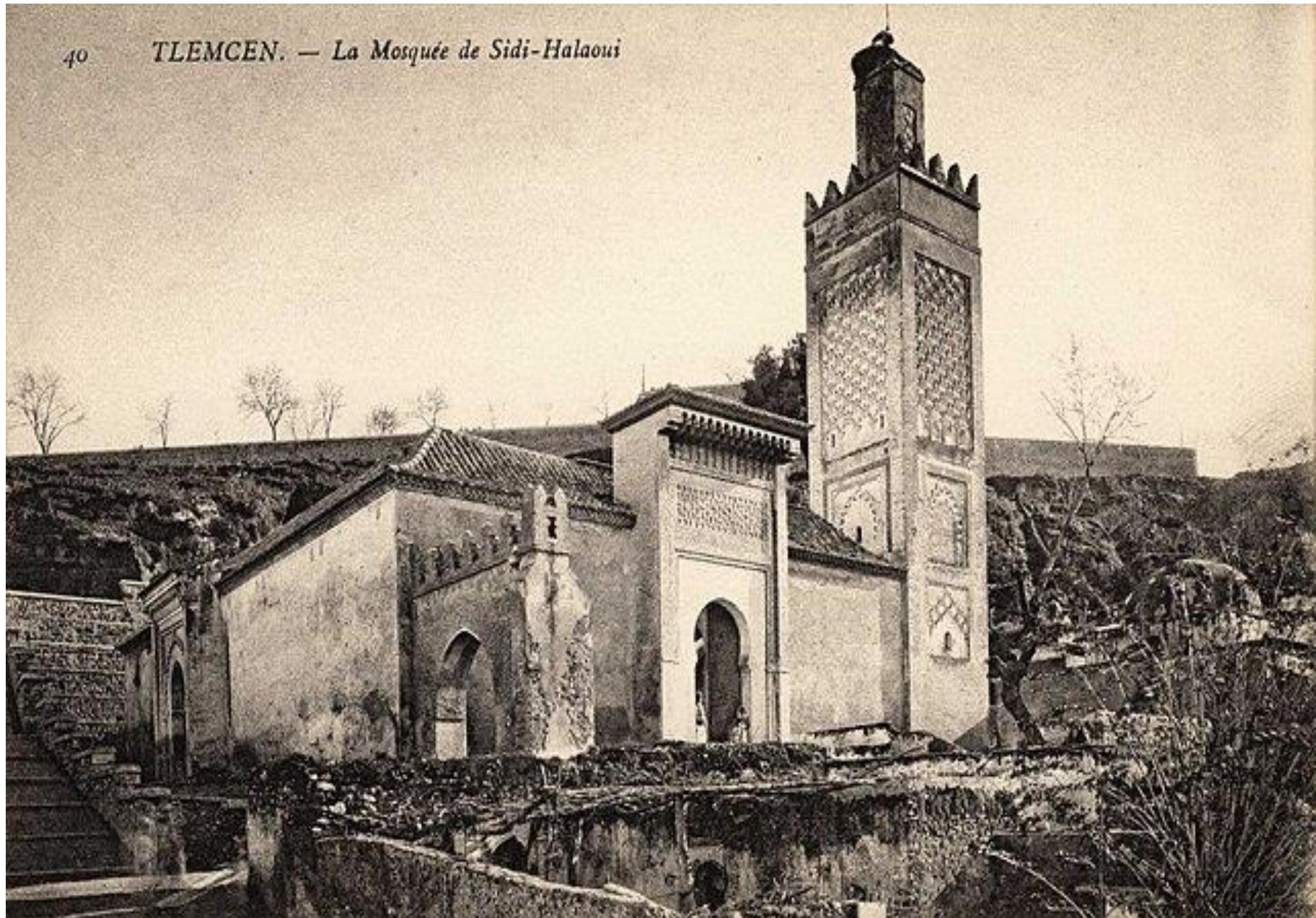
• في عام 1235، تخلص والي تلمسان الموحدي يغمراسن بن زيان(المنحدر من قبائل زناتة الامازيغية) من حكم الموحدين. وأسس دولته الخاصة التي عُمِّرت أكثر من ثلاثة قرون(حتى سنة 1554م). وكان كيان هذه الدولة معرضاً منذ نشأته لتهديد جيرانها والممالك النصرانية. ويرجع طول حياتها للسياسة البارعة التي انتهجهها بعض الملوك الاكفاء الذين كان من أكثرهم توفيقاً يغمراسن مؤسس الدولة وأبو حمو الثاني، وكان هدفها خلال حكمها بلوغ وادي شلف وبجاية شرقاً والنفاد إلى مشارف فاس غرباً. واستغل البدو العرب دائماً فترات الضعف ونفذوا في كل مرة إلى وسط المملكة الامازيغية وتوصلوا إلى اقتطاع بعض ولايتها. وفي الوقت نفسه تكشفت عملية تعريب الامازيغ الصنهاجيين بحيث فقدت الأقاليم الغربية للجزائر طابعها الامازيغي الأساسي كلياً.

• وكان يغمراسن تقيرا وفقيراً، ولم يتكلم إلاّ الامازيغية طوال حياته، وهو من بني المآذن للمساجد الكبرى في تلمسان وأغادير ومراكش، وينسب إليه إنشاء قلعة المشوار التي جعل منها مقرأً لإقامة صلاة. وأنشأ خلفه مسجد سيدى بحسن 1292، وبنى أبو حمو مدرسة وثلاثة قصور، وشهدت تلمسان آنذاك قمة ازدهارها.

مسجد سیدی بلحسن 1292

40

TLEMCEN. — *La Mosquée de Sidi-Halaoui*



قلعة المشوار



• ويرجع الضعف الأساسي للملكة إلى قاعدتها الاقتصادية الضيقة الأحادية الجانب، وخاصة ضغط البدو الرحّل القادمين من الجنوب، وقد أسهم عدم الاستقرار الناتج عن ذلك اسهاماً كبيراً في تضاعف الخصومات داخل المملكة. وليس غريباً في مثل هذه الظروف أن يقع بنو زيان، لفترات، تحت وصاية المرinيين والحفصيين ثم أراغون. وقد ظل عمادها الأساسي مدينة تلمسان التي صارت أهم مستودع للتجارة في المغرب الأوسط بعد تهـرت، واجتذبت التجار الأوروبيين وتجار المغرب والشرق الإسلامي، وكان يقطنها يومئذ نحو 40 ألف نسمة. والمثل السائر في تلمسان حتى يومنها هذا هو خير دواء للفقر هو السودان، يشير إلى الثروات التي اكتسبتها المدينة من التجارة عبر الصحراء.

ولئن عرفت مملكة تلمسان خلال النصف الثاني من القرن 14 فترة ازدهار ورخاء في عهد السلطان القدير أبو حمّو الثاني (1359-1389)، فإن السلاطين المرinيين قد احتلوها مرتين وهددتها غارات الـأعراب وثوراتهم. وتلك هي الفترة التي أقام فيها ابن خلدون في تلمسان وتوسّط لأبي حمو لدى شيخ الـبـدو مما يسرّ له فهم نظام وآلية الحياة السياسية وانقلاب التحالفات، كما ترك وصفاً للثقافة الـزيانية (لقد ازدهرت العلوم والفنون هنا بتلمسان وأنجبت هذه المدينة العلماء والرجال الـافذاذ الذين وصل علمهم إلى الكثير من مدن العالم)، وازدهرت المدينة بعمائر كثيرة بقيت إلى يومنا هذا وجعلت من تلمسان أهم العمارة الإسلامية في الغرب الإسلامي. وخلال القرنين 15 و 16 دخلت تلمسان في حقبة طويلة من الانحلال ولم تعد إلا مجرد أداة في المعركة الكبرى بين إسبانيا والأمبراطورية العثمانية، وانهارات أخيراً تحت ضربات الهجوم العثماني سنة 1554.

• عرفت الجزائر خلال عصر الدول الإسلامية تحولات عميقه، كانت فيها دولة قائمة بذاتها أحياناً، وجزء من دول كبرى أحياناً أخرى، ورغم الصراعات السياسية والعسكرية، فقد تميزت بإنجازات حضارية كبرى في مجالات الفكر والعلم وال عمران